

## المقدمة

إن الحمد لله جَمده ، ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

استفتح بالذي هو خير :

"...رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" (المتحنة : ٤)

"يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"

(آل عمران : ١٠٢)

"يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا"

وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَاللَّارْحَامَ ..."

(النساء : ١)

"يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا" (الأحزاب : ٧٠-٧١)

"يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا

مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ" (لقمان : ٣٣)

"يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"

(الحج : ١)

## أما بعد

فلقد تتابعت سهام الكفر والشرك على أمة الإسلام تترى، فتارةً تنال دماءنا وتارةً تنال أموالنا، وتارةً تنال نساءنا وتارةً تنال أولادنا، وتارةً تنال ديارنا وتارةً تنال أوطاننا غير أن ذلك كله هينٌ إذا ما طالت سهام الكفر والغدر أحبَّ خلق الله تعالى إلينا وأكرم خلقه سبحانه وتعالى عنده، ذاك شمس النبوة ومصباح الهداية وقائد الأمة وشفيعها بإذن الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا نالت سهام الحقد النتنة مقام النبوة وتعرضت لجناب الرسالة هان عنده كل مصاب، وبات كل مصاب بعده جلل، فلا الديار ولا الأموال ولا النفوس ولا الأهليون تفي فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إلى الله المشتكى من الخذلان، وإلى الله المشتكى ممن يرى ويسمع ولكن لا تبصر له عين ولا تعي له أذن، بل كالحجارة الصماء والدواب البكماء، ولو استثيرت هذه الدواب في بعض ما فيه معاشها لهبت ونهضت واستنهضت، فلا نامت أعين الجبناء...

ولما لم يكن سبُّ الرسول صلى الله عليه وسلم جريمةً مبتدعة اليوم بل كانت جريمةً قديمةً قدم الرسالة والبعثة، فتارة رموه بالسحر وتارة بالجنون، وتارة نظموا في هجائه الشعر، وتارة حثوا القيان على التغني بسبِّه، فلا بد وأن يكون الوحي قد نطق بحكم هؤلاء قرآنًا وسنةً، والأمر كذلك، فكان لا بد من المصير إلى حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء، إذ لا يخفى أن صدورنا لم تشفَ وغيظ قلوبنا لم يذهب بتلك البيانات الهزيلة والاستنكارات الخافتة، والدعوات الغريبة لإقامة مؤتمرات التقارب وغير ذلك من الترهات، لم يذهب شيءٌ من ذلك بما في قلوبنا من غيظٍ وكمدٍ تجاه أولئك المجرمين، ولن يذهب غيظ قلوبنا حتى نرى حكم الله تعالى فيهم نافذاً إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

## وانظر إلي وصف حكام المسلمين في حرصهم على عروشهم وكراسي الحكم :

" واللّٰه لو علموا أنّ في عبادة الصّلبان تمثية أمورهم بادرُوا إليهم ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرْم المسلمين وأبناءهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام " (١)

**ويقول ابن حبان :**

دهرنا غربل أهلية أشد غريلة ففسفس أخلاقهم وسفه أحلامهم وخبت ضمائرهم .  
فهذا أبو عبد الله الصغير محمد بن علي بن نصر أو محمد الحادي عشر آخر ملوك غرناطة الذي سلم غرناطة للملكين الكاتولكين فرناندوا وايزابيلا نظير حق الملكية له ولأحفاده على بعض الحصون والقلاع الصغيرة يحكمها باسمها ويؤدي إليهما الضرائب ويحصل لهما الخراج والعثور .

كان صغيراً في تهاونه وتخاذله حريصاً على دنيا تفلتت من بين يديه ، ويقف باكيا أمام قصر الحمراء فتقول له أمه : إبك بكاء النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ولم يرث أحفاده وأولاده غير الجوع والتشرد والحرمان ، فقد رأى المقرئ المؤرخ في فاس أحفاد أبي عبد الله الصغير شيوخاً يتسولون ويعيشون من الصدقات ويشاء الله أن يظل شاهد قبر أبي عبد الله الصغير - حيث كتب عليه اسمه وتاريخ مولده ويوم وفاته وصفته - عتبه لباب منزل صغير بمدينة تلمسان يطأه الناس بأقدامهم عند دخولهم وخروجهم .

وأذكر موقف صلاح الدين الأيوبي من الأمير أرناط - زمن الحروب الصليبية - الذي تعرض لحجاج بيت الله الحرام وحاول التعرض بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتهد صلاح الدين الأيوبي في الوصول إلي أرناط فلما تمكن منه قتله شر قتله انتصاراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) رسائل ابن حزم ، ٣ / ١٧٦ .



فأين هذا وذاك ، فالذي خذل الإسلام وباع آخرته بعرض ذائل ذهب إلي مزبله التاريخ وأما الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد رفع ذكره وخلده التاريخ.

"...فَاعْتَبِرُوا يَأُولِيَ الْأَبْصَارِ" (الحشر: ٢).

وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، اسم على مسمى، علم على رمز ووصف على إمام، جمع المحامد، وحاز المكارم، واستولى على القيم، وتفرد بالمثل، وتميّز بالريادة، محمود عند الله لأنه رسوله المعصوم، ونبيّه الخاتم، وعبد الصالح، وصفوته من خلقه، وخليله من أهل الأرض، ومحمود عند الناس لأنه قريب من القلوب، حبيب الى النفوس، رحمة مهداة، ونعمة مسداة، مبارك أينما كان، محفوف بالعبادة أينما وجد محاط بالتقدير أينما حلّ وارتحل، حمدت طبائعه لأنها هدّبت بالوحي، وشرفت طباعه لأنها صقلت بالنبوة، فالله محمود ورسوله محمد:

وشقّ له من اسمه ليجلّه ..... فذو العرش محمود وهذا محمد  
واسمه أحمد، بشّر بذلك عيسى قومه، واسمه العاقب والحاشر والمحي  
وهو خاتم الرسل وخيرة الأنبياء، وخطيبهم إذا وفدوا، وإمامهم إذا وردوا.

صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغرّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل، حامل لواء العزّي في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في بني عبدمناف بن قصي، أشرف من دُكر في الفؤاد، وصفوة الحواضر والبوادي، وأجلّ مصلح وهاد، جليل القدر، مشروح الصدر، مرفوع الذكر، رشيد الأمر القائم بالشكر، المحفوظ بالنصر، البريء من الوزر، المبارك في كل عصر، المعروف في كل مصر، في همة الدهر، وجود البحر، وسخاء القطر، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه ما نجمّ بدا، وطائر شدا، ونسيم غدا، ومسافر حدا.

وأخيراً فإنني أتقدم بخجل شديد من سيدي وقائدي وحبيبي وشفيعي بإذن الله يوم القيامة وفرطي على الحوض الرسول الكريم بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه بهذا الدفاع المتواضع عن عرضه وجنابه، وأسأل الله تعالى أن يكون ما في القلب من حبه

صلى الله عليه وسلم جابراً لما في العمل في الدفاع عنه من تقصير وما أشده، سلواي في ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمراً قبل أن يفتحها وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خُلُوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يُزيل الهام عن مقيلة ويُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة، في حَرَمِ الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خَلَّ عَنْهُ يا عمر، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل"<sup>[١]</sup>، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه وكان يهجو المشركين ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هجاه المشركون: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"<sup>[٢]</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك :

(إِنَّ الْمَجَاهِدَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّما تَرْمُوهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ).<sup>(٣)</sup>

• من أجل أن يعلم المسلمون مكانة نبيهم صلى الله عليه وسلم.....

• ومن أجل أن يعلم المسلمون كيف يكون الحب الحقيقي لهذا الرسول العظيم

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى التَّسْديدَ لما يرضيه من الأقوال والأفعال، اللهم ما وافق الحق

مما كتبت فمنك وحدك وبفضلك وجودك وكرمك، وما خالف الحق فمني وأنا منه بريء والحمد لله رب العالمين.

والله أسأل أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يجعل هذا العمل في ميزاني

يوم العرض عليه ، وأن يكون هذا العمل سبباً في شفاعته صلى الله عليه وسلم .

"...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ... (الأعراف: ٤٣)"

الفقير إلى عفو ربه

رجب محمود إبراهيم بخيت

[١] صحيح ابن خزيمة - ١٩٩/٤ .

[٢] صحيح البخاري - ٢٢٧٩/٥ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٧٥ ، ترجمة كعب بن مالك .